الرئيس السادات على استعداد لأن يسافر غداً إلى الرياض إذا ...

أنيس منصور

التحرير

الدماء فى كل مكان ، لأسباب مختلفة . ولذلك فالحرب هى طبيعة العلاقات بين الناس . أما السلام فهو كائن غريب . ولذلك يحاول كل شعب أن يمنحه حق اللجوء السياسى ، أو يعطيه شرف المواطن الصالح ؛ وبسبب هذا الحديد والنار . . لا يمكن أن يكون الإنسان متفرجا على مصائب الآخرين . لأنه هو طرف . ولذلك فلا أحد برىء . أو لا أحد على الحياد مما أصاب اليهود قديما ، ومما يصيب الشعب الفلسطينى بحديد اليهود ونارهم . .

ويوم شاهد الناس مسرحية « بعد السقوط » للكاتب الأمريكى اليهودى آرثر ميللر ، أحس الناس مباشرة بالمعنى الذى قصده المؤلف ، من أول لحظة . فالمسرح مفتوح بلا ستائر . والبطل قد جلس فى المقدمة وقد أدار ظهره للناس . وموضوع القصة هو : من الذى قتل مارلين مونرو ، زوجة مؤلف المسرحية ؟ . .

أما جواب المؤلف فهو : أنها هى التى قتلت نفسها . . انتحرت ، ولذلك فهى القاتل والقتيل معا . ولكن الذى يريده المؤلف ، هو توجيه اللوم للمشاهدين فى كل مكان : كيف إن انتحار امرأة قد هز الدنيا كلها ، ولم يهز الدنيا إحراق ملايين اليهود فى كل مكان ؟ . . فإذا كان بعض الناس قد تسبب فى انتحار مارلين مونرو ، فإن العالم كله مسئول عن جريمة الحريق الشامل لليهود فى أفران الغاز . فكل المتفرجين متهمون ! . .

ولذلك فشىء واحد قد اتفق عليه العالم كله اليوم : لا أحد على الحياد مما يلقاه الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة . ولذلك نحاول كل دول العالم أن يكون لها رأى ، أو موقف يخفف ويلات شعب مطرود من أرضه ، ويحاول كما حاول اليهود ، أن تكون أرضه وطنا ، وأن يكون وطنه دولة مستقلة ذات سيادة ، مثل جزر القمر وجزر مالديف وجزر فيجى ، وغيرها من « النكت الجغرافية » على سطح الأرض ! . .

أما موقف العالم من اتفاقية كامب دافيد فمعروف . ورفض الدول العربية لهذه الاتفاقية معروف ، وإن لم يكن العرب على وفاق تام فيما بينهم . وإن كانوا قد اتفقوا على شىء واحد هو : عجزهم عن عمل شىء آخر غير الذى أنجزته مصر . .

وأمام هذا العجز العربى بادرت مصر بالسلام ، ومضت فيه . وحاولت الدول الأوروبية أن يكون لها دور . وبادرت أمريكا ومصر وإسرائيل برفض هذا الدور . .

واتفقت جميع الأطراف – بما فى ذلك الفلسطينيون – على رفض الدور الأوروبى الذى ليس إلا استغلالا للظروف ، وتسجيلا لموقف لا يفيد أحدا ! . .

الأمير فهد
أكثر من قرار

شيت وأوهيدا
أغنى أغنياء العالم

أما الموقف الإسرائيلى فهو « تشويش » عن قصد ، على كل محاولة فى طريق الحكم الذاتى . فإسرائيل أثارت قضايا تخفى صراعاتها الحزبية . فإثارة قضية القدس عاصمة إسرائيل ، لا معنى لها . إن الموقف العالمى من القدس معروف ومقرر فى الأمم المتحدة ، وفى اتفاقية كامب دافيد . وإذا كانت الأحزاب الإسرائيلية قد اتفقت على وضع القدس . فإن جميع الأطراف قد اتفقت على رفض وجهة النظر الإسرائيلية . .

ومازلنا مع إسرائيل نواجه مدرستين من التفكير فى حل قضية الحكم الذاتى . .

المدرسة « التاريخية » التى يمثلها السيد مناحم بيجين . وترى أن إسرائيل يجب ألا تنسحب من الأرض المقدسة التى جاءت فى التوراة – أى الضفة الغربية (يهودا والسامرة) والقدس . ومن أجل استعادة هذه الأرض يجب أن تقام المستعمرات المسلحة فى قلب الكثافة العربية . .

والمدرسة « الأمنية » – وهى التى يمثلها حزب العمل . فيرى الحزب أنه لا ضرورة للتمسك بالضفة الغربية وإقامة المستوطنات فيها ، ويرى الابتعاد عن الكثافة العربية . وأن أمن اسرائيل هو الاتفاق مع العرب . وأن يكون لإسرائيل وجود محدود فى الأرض المحتلة . .

وربما كان الخلاف بين السيدين بيجين وفايتسمان ، هو على مفهوم الأمن عند الرجلين . ففايتسمان يرى أن المستعمرات لا تحقق الأمن . بل لا ضرورة لها . وهو بذلك أقرب إلى حزب العمل . .

ومن بين الشوشرة الإعلامية أو السياسية التى تصنعها إسرائيل : مسألة الإشراف الدولى على المرحلة الأخيرة للانسحاب ، ومراقبة قوات الطرفين . . وعلى الرغم من أن هذه قضية سابقة لأوانها – أو ليست قضية – فإنه يمكن الاتفاق عليها فورا . فقد سئل السيد بيجين عن هذه القضية ، فكان من الطبيعى أن يرد قائلاً : إننا إذا لم نتفق مع مصر عليها ، فلن يكون انسحاب . .

وهذا ماقاله السفير بن أليسار فى لقائه الأخير مع الرئيس السادات . .

ونحن لا نختلف مع رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك . إنما نرى أن حل هذه المشكلة – إذا كانت مشكلة – سهل تماما . فمن الممكن أن تتولاه أكثر من دولة . ومن الممكن أن تتولاه أمريكا وحدها . ومن الممكن أن تتولاه نحن مع إسرائيل ، فإذا حدثت تجاوزات أو اختراقات فمن الممكن الرجوع إلى لجنة مصرية إسرائيلية مشتركة تلتقى فى رفح أو فى شرم الشيخ . .

ويبقى الموقف الإسرائيلى فى الضفة الغربية . فلن يكون أمن ولا سلام ما دامت أعمال العنف ضد الشعب الفلسطينى متجددة . والعنف يولد العنف ، ولا يخفف من جريمة العدوان على زعماء الضفة الغربية ، أن مرتكبى الجريمة كانوا يفكرون فى ارتكاب جرائم أخرى ضد رئيس الوزراء ، وضد وزير الدفاع السابق . فهم مجرمون ما داموا يستخدمون الرصاص قاضيا للخلافات السياسية والدينية . .

وعلى ذلك فلن يتحقق الأمن فى الضفة الغربية مع وجود قوات الاحتلال الإسرائيلية ، تتربص بالناس ، وتغرى المتطرفين اليهود بالاعتداء عليهم ! . .

وقديما كانت للفيلسوف السياسى مكيافيللى نصيحة وجهها إلى واحد من نبلاء أسرة سفورزا . قال له مكيافيللى : إن هذه القلاع التى ألمتها فى مدينة ميلانو ، سوف تخلق لك من المشاكل أكثر مما تتصور . إن هذه القلاع هى أكبر دليل على أنك خائف من شعبك . وهذا الخوف دليل على أنك ضعيف . وهذا الضعف يغرى الشعب بأن يتجرأ عليك ! . .

وقال مكيافيللى : إن الذى يكرهه الشعب لا تحميه القلاع . بل إن شعوبا أخرى سوف تنضم إلى الشعب الذى يكره حاكميه . .

وليست هذه القلاع القديمة إلا المستوطنات الإسرائيلية الجديدة لحماية اليهود من الشعب الفلسطينى . إنها لن تحمى اليهود . بل ستغرى العرب بالانتقام دائما . .

والمسدس هو المسدس ، ولو اتخذ شكل أغصان النخيل ، ولو اتخذ الرصاص شكل حبات الزيتون ! . .

والدول الأوروبية تحاول أن يكون لها موقف محدد موحد . وسوف ينتظر العالم كله ما الذى سوف يفعلونه فى الأسبوع القادم فى مدينة البندقية ؟ – نريد أن نعرف ما الذى سوف يفعله « نجار البندقية » ؟ . .

وإن كان من المعروف مقدما أن أية محاولة لنقض اتفاقية كامب دافيد مرفوضة . وقد هددت أمريكا بالفيتو فى يدها . وتزعمت الحكومة الفرنسية موقف الرفض لأمريكا فى المعسكر الأوروبى . ولكن فرنسا تحاول أن تخفف من حدة موقفها ، عن طريق اتصالات سرية مع الدول العربية . . وقد أدى ذلك إلى إضعاف الموقف الفرنسى ، ورفضته المنظمات الفلسطينية . لأن موقف فرنسا ليس مبدئيا ، إنما موقف انتهازى فقط . .

الرئيس ديستان .. أغضب أوروبا وأمريكا والعرب .

تروردو أحد تجار البندقية

المستشار كرايسكي أكثرهم فهما للعرب واليهود

كوسيجا الإرهاب يجتاح إيطاليا

وقد حاول وزير خارجية فرنسا السيد بونسيه فى كلمة ألقاها فى جامعة فى احدى الجامعات الأمريكية ، أن يبين وجهة نظر حكومته . فجاءت اعتراضا على « السلوك » الأمريكى المتعالى على فرنسا ، وعلى أوروبا الغربية كلها . فقال فى لهجة الأستاذ الذى ذهب إلى أمريكا ليعلم رئيسها ووزير خارجيتها : هناك فرق بين التوافق والتطابق . فنحن على استعداد لأن نتوافق ونتفق مع أمريكا . ولكن ليس من الضرورى أن نتطابق معها فى كل شىء . . فالاتفاق يجب أن يكون بين شركاء متساوين ، وأن تكون هناك وجهات نظر مختلفة . . وأن تعترف أمريكا بأن لدول أوروبا الغربية دوراً قوياً . . لأن أمريكا ليست هى الدولة الوحيدة فى العالم . .

أى أن فرنسا قد اتخذت هذا الموقف من النزاع العربى الإسرائيلى ، لأنه لا يصح أن توافق على ما قررته أمريكا ومصر وإسرائيل ، وإلا كانت تابعا لا حرية له ! . .

فماذا قررت فرنسا وغيرها ؟ . .

هذا ما سوف نراه فى الأسبوع القادم . وهو مرفوض منذ الآن من جميع الأطراف . .

بيجين وفانسيان التاريخ والأمن

ومرة أخرى يلتقى ملوك الصناعة يومى ٢٢ و ٢٣ يونيو فى مدينة البندقية – إنهم تجار البندقية : كارتر (أمريكا) وأوهيرا (اليابان) وشميت (ألمانيا) وديستان (فرنسا) وتاتشر (بريطانيا) وكوسيجا (إيطاليا) وتروردو (كندا) . .

ولن يكون الاتفاق بينهم سهلا فى الاقتصاد أو فى السياسة . .

وإذا كانت التوراة تقول إن الله « وحده » قد خلق العالم فى ستة أيام . . فما الذى يستطيع أن « يخلقه » سبعة من الزعماء فى يومين اثنين فقط ؟ ! . .

إن الموقف الأوروبى الغربى أعقد وأصعب وأضعف من أن يتخذ قرارا واحدا فى أية قضية،والأدلة على هذا التهاون والهوان كثيرة . مثلا : أفغانستان وإيران والدورة الأولمبية . . والقضية الفلسطينية . .

ومن الصعب أن يعترف كل هؤلاء بالفشل – ولكن من الأصح أن يكونوا واقعيين ، وأن يدفعوا ويضغطوا معا على كل الأطراف ، من أجل التخلى عن سياسة « محلك سر » إلى سياسة السير إلى موقع على الحدود بين إسرائيل والدول العربية كلها . .

وربما كان المستشار النمساوى برونوكرايسكى أوضح الأوروبيين فى تصوره لحل القضية . فهو يرى أن السيد بيجين شخصية لها فلسفة ، وأنه يستحق الاحترام . ولكن المشكلة مع رئيس وزراء إسرائيل أن الخلاف يجىء دائما عند تطبيق هذه الفلسفة . ولذلك يجب أن تظهر فلسفة جديدة فى إسرائيل . . وإلا تعاظم الخطر على حياة إسرائيل نفسها فى قلب هذه الكثافة العربية القوية الغنية القادرة على شراء الأسلحة النووية والصاروخية فى أى وقت . .

ويقول كرايسكى : يجب أن يعرف السيد بيجين أن هناك دولا عربية تتطلع إلى التضامن المدمر . . أى إلى الحرب التى توحد صفوف العرب ضد إسرائيل من جديد . .

ويقول كرايسكى : إذا جاءت حكومة للعمال فسوف يؤدى ذلك إلى تشجيع الفلسطينيين على الحوار . وتكون لهم دولة مفتوحة الحدود شرقا وغربا . .

ونصيحة كرايسكى : أنه لابد من المفاوضات . . ولا يأس معها ، وأنه هو شخصيا قد جرب مفاوضات أقسى وأعنف من التى بين مصر وإسرائيل ، عندما عرض قضية جنوب التيرول بين إيطاليا والنمسا من ٢٥ عاما ! . .

ولابد أن اجتماع تجار « البندقية » فى هذا الشهر ، سوف يشهد مزايدات سياسية . فألمانيا ذات الموقف الواضح تستعد لانتخابات هذا العام ، وفرنسا تستعد لانتخابات العام الجديد . . والدول الأخرى تعانى من الإرهاب العربى والدولى ، ومن الودائع الذهبية فى بنوكها ، وتخشى الغضب الأمريكى والتحفز السوفيتى ! . .

فرنسوا بوتيه
درس لأمريكا

أما الموقف السعودى فقد جاء فى الحديث الذى أعلنه الأمير فهد ، من أنه مستعد أن ينضم لمفاوضات السلام إذا أعلنت إسرائيل استعدادها للانسحاب من الأراضى المحتلة . .

ولا يهم بعد ذلك أن الأمير فهد قد تنصل من هذا التصريح ، فليس صحيحا أنه لم يقل ما قال . .

وما أعلنه الأمير فهد هو أسلوب عربى نموذجى . فبعض الزعماء العرب فاهمون تماما لكل أبعاد القضية – مثل الأمير فهد ، ولكن « المرض » العربى هو الخوف من اتخاذ القرار . فليس بين العرب جميعا اتفاق على قرار واحد . .

حتى الرئيس الأمريكى كارتر قد عانى من ذلك كثيرا . فأرسل خطابا بخطه إلى الرئيس السادات . ونسخة من هذا الخطاب إلى الأمير فهد . ومضمون الخطاب أن الرئيس الأمريكى يشكو من الخلافات بين مصر والسعودية . ويقول : إن الخلاف بينكما يسبب لى متاعب كثيرة فى الداخل والخارج . . فباقة عليكما اتفقا ، أو حتى حاولا ذلك ! . .

وهى مشكلة الرئيس السادات أيضا . فالجماهير فى مصر وفى السعودية تستعجله أن يجد للعرب حلا . ولذلك أشاعت الجماهير أن الرئيس السادات قد سافر إلى السعودية ، وأنه عاد . وبعد عودته قرر وقف المفاوضات . .

والمصريون العائدون من السعودية يؤكدون أن الرئيس السادات قد سافر إلى السعودية . وأن أحضانا ودموعا وعتابا أخويا حارا حدث فى مطار الرياض . . إلخ

والرئيس السادات يقول : إننى على استعداد لأن أسافر غدا إلى الرياض لو أن فى السعودية قرارا واحدا . . إرادة واحدة . فإذا كنت قد ذهبت إلى الكنيست ، فهل يصعب وجدانيا أو عقليا ، أن أذهب إلى الرياض . .

وإذا كان حديث الأمير فهد يكشف عن أعماقه هو ، فإن التنصل مما جاء فى هذا الحديث يفضح الصراعات الداخلية عند صانعى القرار فى السعودية .

أما القرار المطلوب أو المنشود فهو أن يعلن أحد القادة السعوديين ما الذى يمكن عمله من أجل تحرير الأرض العربية وإقامة الدولة الفلسطينية ؟ هل هو الحرب ؟ كيف ؟ هل هو السلام ؟ كيف يكون بلا مفاوضات مع إسرائيل ، أو مع إسرائيل وأمريكا ومصر . . أو مع إسرائيل وأمريكا والشعب الفلسطينى ؟ . .

وكان من الممكن استئناف مفاوضات الحكم الذاتى فى أى وقت . ولكن كيف يتيسر ذلك و « التشويش » الرسمى الإسرائيلى مستمر . . والدماء العربية تسيل . . والبيانات الاستفزازية لوزير الخارجية السيد شامير ، والغارات المتوالية على لبنان ، وعلى معسكرات اللاجئين الفلسطينيين ؟ . .

كيف تتعجل إسرائيل « تطبيع » العلاقات مع مصر وهى تتعمد إحراج الشعب المصرى . . وهو شعب عربى ؟ . . إن إسرائيل تشكو من أن التطبيع قد وصل إلى درجة الركود من الجانب المصرى . . ففى الوقت الذى تعطى فيه السفارة المصرية فى تل أبيب مائة تأشيرة دخول يوميا ، لا تعطى السفارة الإسرائيلية تأشيرة واحدة . .

ربما كان التطبيع قد تم فى مجال واحد ، هو مجال « الكتاكيت » الرخيصة فى الصناديق الأنيقة فهى بالملايين فى المزارع المصرية ! ! . .

ولا شك أن السلام مع مصر هو جزء من السلام الشامل ، وليس هو السلام الكامل ، وإلا كان حلا منفردا . وهو ما رفضناه ونرفضه اليوم وغدا . .

فالسلام ليس هو السلام « الرسمى » – أى تطبيع العلاقات بين الوفود الرسمية . .

وليس هو السلام « العسكرى » – أى بين القوات المتحاربة ، فلا تحمل سلاحا ضد بعضها البعض . .

إنما هو السلام « الشعبى » – أى بين الشعب المصرى والشعب الإسرائيلى . وهذا فى حاجة إلى وقت طويل . لقد بدأنا . ونجحنا . ولكن العقبات التى تخلقها الحكومة الإسرائيلية تصدم مشاعر الناس ، وتشككهم فى كل شىء . . ونحن وراءنا ووراءهم : تاريخ طويل عميق عريق من سوء الظن والمرارة . .

ومن الممكن أن نجعل لنا شعارا : العام القادم فى ميناهاوس . . أو فى هرتسلية . . وتمضى فى المفاوضات . ولكن المهم دائما أن نجلس معا ، نحن أو غيرنا من العرب . ونتناقش ، ولا توجد وسيلة أخرى . ومن المؤكد أن الذى أقوله كلام مكرر . ولكن ما ذنبى إذا كنا ننسى ما يقال ؟ . إما لأن الكلام المكرر يتساقط من الذاكرة . وإما أن التكرار يبعث على الملل . وكما أن المفاوضات هى الحل الوحيد ، فالتكرار هو الأسلوب الوحيد أيضا ! . .

ولو استعار رسام قلمى ، وراح يصور الواقع العربى أو العالمى . لاختار هذه المعانى : إن التاريخ نوع من الوشم . . أى من الرسم بالنار على ظهر البشرية . .

أو لاختار لوحة معناها : إن التاريخ يمسك قلما من الذهب ممتلئا بالبترول . وقد انتقشت على القلم كلمة : الله . .

وفى ذلك دليل على كل المعانى المادية والمعنوية ، الأخلاقية واللاأخلاقية ، ولكن هذه هى طبيعة البشر الذين يموتون من أجل الشعب الفلسطينى ، والذين يكافحون من أجل الثروات العربية ، أما كلمة : الله ، فهى الراية التى يحارب تحتها الجميع أو يزعمون ذلك ! . .